يوميات جينيفييف

للكاتب الفرنسي مارسيل بريفو
عضو المجمع اللغوي الفرنسي
بقلم الدكتور محمد غلاب

٤ – عهد الختام :

يونيو في مدينة تاوار .

إن كل ما يحوطني الآن مفعم بالهدوء والسلام والعظمة والجلال والابتسام ، وحول منزلنا الصغير النائم تحت أشعة الشمس تبدو الجبال زرقاء وبيضاء . وقبالة هذا المنزل توجد البحيرة العظيمة بلونها الفضي ، وباريس الآن بعيدة .

نعم باريس بعيدة وكذلك الماضي بعيد ، وتلك الساعات القاسية التي احتملتها والتي كنت أتصور أنها ستقضي على حياتي ، كل ذلك قد انتهى كما انتهى الماضي البعيد ، والحياة الآن ستستأنف متحدة مضيئة . ولقد كان هذا التغيير فجائياً بدرجة لا أكاد أصدقها .

يا عجبا ! إن آخر سطر في مذكراتي الماضية كان غاية في اليأس والقنوط ، وهو : « لأن أقدم حياتي خير من أن أقدم أمانة زوجي أو صحة ولدي » .

لقد كنت أكتب هذه المذكرة في حجرة الطفل المريض وبجانب سريره ، وكانت الحاضنة تقرأ في تلك اللحظة نبأ قدوم الطبيب في الساعة الخامسة ، وكنت أنتظر حضوره في جزع شديد ، ولو أني كنت عارفة قراره مقدماً ، وهو قوله : لا جديد ، فلننتظر . وفي الواقع لم يكن هنالك جديد ، إذ أن جسم الطفل كان غارقا في العرق ، وهويئن في سريره في وسط نوم مضطرب .

وعند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل خادم زوجي ولقد كنت أكره لونه الذي هو مزيج من : صفرة وزرقة ورمادية ، وعينيه اللتين لا يمكن كشف ما وراءهما ، وفمه ذا الشفتين اللتين لا تكادان تريان من كثرة انقباضهما ، فسألته قائلة :

— ما ذا تريد يا چوزيف ؟

— إن سيدي الكونت يسأل سيدتي أصحة سيدي الفيكونت أحسن الآن ؟ .

— إن سيدك إذاً لم يخرج .

— لا يا سيدتي ، إن سيدي ظل من بعد النداء إلى الآن في مكتبه ، وهو يرجو من سيدتي أن تنبئه حينما يحضر الطبيب .

— حسن يا چوزيف ، ستنزل الحاضنة لتنبئ سيدك عند ما يحضر الطبيب .

لم يكن زوجي إذاً قد خرج ، لأنه كان قلقاً على صحة الطفل وكان يريد أن يحضر زيارة الطبيب ، فهل كان أحد يصدق ذلك ؟ لقد زاد هذا الاهتمام الفجائي بصحة الطفل من غضبي حتى أحسست في تلك الساعة أن الحقد يتضاعف في نفسي إلى درجة أني لم أعد أحتمل حنانه عليه وقلت في نفسي : ليتركني وحدي مع هذا الصغير العزيز المريض ، وليذهب إلى تلك المخلوقة . ولا ريب أن كبرياء الألم هي التي خلقت عندي هذه العاطفة ، لأنه كان ألماً مبرحاً .

وبعد الساعة الخامسة بقليل حضر الطبيب ، ولما نبأت الحاضنة الكونت صعد فوراً ، وكان في هذه اللحظة يختلف كثيراً عن طبيعته المفعمة بقوة الإرادة والشجاعة إلى حد أنني أحسست بالشفقة عليه ، لأنه كان متألما من ذلك العراك الذي كان يحتل نفسه في تلك الساعة بين هذا الخلق الكريم الحقيق الذي حببه إلى الناس جميعاً ، وبين ذاك الهوى الوضيع الذي كانت نفسه تلح عليه في إطاعته .

« لا جديد فلننتظر » . هذه الكلمة التي تنبأت بها قالها الطبيب بحروفها وهو يضع على الوسادة رأس الطفل بعد أن فحص جسمه .

أعاد الطبيب كلمة « فلننتظر » وأضاف إليها قوله : يجب أن تستعدوا لكل شيء ، فالأزمة بدأت تتطور ، وسيظهر في هذا

المساء حدث جديد ، ولولا أن فى الأمر شيئاً سيظهر لما استمرت الحمى على هـذا النحو ، فهل عندكم طبيب ماهر فى هذا الحى ليلاحظ الطفل فى حالة حدوث ما لا ينتظر ؟ .

— نعم . يوجد طبيب ماهر فى ميدان « بوفو » وهو : الدكتور « جيل » .

— إنه اشاب ذكى ، وإنى أعرفه وسأكتب إليه كلمة ، لأوصيه بكم ، فإذا ما حدث أى شىء جديد فادعوه على عجل فى أية ساعة كانت .

— انصرف الطبيب وبقيت مع راءول وحدنا فى الحجرة ، فتصنعت أنى لا أنتبه إلى وجوده ، إذ كنت أسير فى الغرفة جيئة وذهاباً دون أن ألتفت إليه أو أحادثه ، وأخيراً قال بلهجة غير طبيعية :

— « إننى سأتعشى الليلة فى المنزل ياجينيفييف »

وحينما كان ينطق بهذه الكلمة كنت أقرأ فى نفسه كأنما أقرأ فى كتاب مفتوح أمامى هذه الأفكار الآتية : « إنه لردىء من جانبى أن أترك جينيفييف المسكينة وحدها فى مثل هذا القلق فلنتوسط فى الأمر ، ولنمنحها مرافقتنا إياها فى العشاء ، تلك المرافقة التى ستجزى بها سروراً ، وبهذا أكون قد أديت واجبى ثم أذهب بعد ذلك إلى شارع « فيزيليه » .

وفى الواقع أنه لو كان قد عرض علىّ هذا العرض قبل ذلك اليوم بليلة واحدة لقفزت فرحا وطرت سروراً ، ولكن اليقين الذى احتل عقلى اليوم من جهة ، والقلق المضنى على صحة الطفل من جهة أخرى قد غيرانى تماما فأجبته فى فتور قائلة :

— تعشّ هنا إذا أردت ياصديقى ، أما أنا فلن أنزل إلى حجرة المائدة لا سيما وأننى لا أرغب فى الأكل .

وعلى أثر سماعه هذا الجواب حل اليقين من نفسه محل الشك وآمن بأنى لا بد أن أكون قد عرفت شيئاً ، فامتقع وجهه ورأيت فى عينيه أنه يتردد فى أن يعترف لى بكل شىء وأن يطلب منى الصفح والتصافى ، ولكن تأثير الرغبة السيئة لم يلبث أن غلبه على أمره فاكتفى بأن يقول لى فى لهجة فاترة : « حسن! اعملى ما تريدين » وقد كنت إذ ذاك منحنية على الطفل ، فلم يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم تردد قليلا ، وأخيراً خرج . وعلى أثر ذلك طفقت الساعات الطويلة تسير فى بطء ، وأنا جالسة إلى جانب سرير المريض الذى يئن فى نومه ، وفى كل دقيقة أنحنى عليه وأنظر إلى جسمه الذى أخذ يزداد حرارة وحمرة ، ولكن لم يظهر على جلده شىء من الحبوب . وفجأة هدأت الحمى وأخذ المريض فى التحسن واستيقظ وطلب لعبه ، فأنهمته ألا يكشف ذراعيه وصدره فأذعن ونام فى هدوء مطمئن ، فلما رأيت ذلك سررت واستسلمت إلى النعاس ، فأخذتنى سنة من النوم لم تطل ، إذ لم ألبث أن استيقظت على أثر حركة خفيفة أحسست بها ، فلما تبينتها وجدت زوجى منحنياً على سرير الطفل يحدق إليه بعناية وكان مرتديا ملابس الخروج ، غير أنه قد ارتدى فوق هذه الملابس « جاكتة » منزلية ، وكانت الساعة إذ ذاك التاسعة والثلث فقلت فى نفسى : إنه سيخرج ، وبعد نصف ساعة سيكون بين ذراعى تلك المرأة . وفى الحال خطرت لى فكرة انتظاره فى ذلك المنزل كما كنت قد قررت آنفاً ، ولكن هذه الفكرة لم تبق فى رأسى إلا لحظة قصيرة ، إذ وجدتنى أقول فى نفسى : « كلا ، كلا ، إن مكانى ليس هناك ، بل هو هنا » ..

وفى الحال قدمت باخلاص إلى إلهى ضحية كبريائى وعاطفتى كزوجة محبة لينجى لى هذا الطفل .

وفجأة هتف راؤول قائلا :

— « جينيفييف جينيفييف ! »

فنهضت واقفة لأنى أيقنت أن هذا الإيقاظ له علاقة بصحة الطفل ، وفى ثانية واحدة انمحى من نفسى كل الحقد الذى كنت أحمله له ثم قلت :

— ماذا ؟ ما الذى حدث ؟

— أنظرى

قال هذا وأشار إلى نقط كحبات العدس قد أخذت تنتشر فى وجه الطفل وذراعيه ، ولونها أحمر باهت ، فصحت فى جنون قائلة :

يا إلهى يا إلهى ما هذا ؟ إنى أرجو على الأقل ألا يكون الجدرى قل لى يا راؤول . وفى هـذه اللحظة تناولت يده وضغطت عليها ناسية كل شىء .

— امكثى هنا يا جينيفييف فسأذهب لإحضار الطبيب ثم خرج . وفى الوقت الذى فصل بين خروجه وعودته كنت أنا والحاضنة تائهين نذهب ونجىء فى الحجرة تارة ، وننحنى من النافذة لنسمع ضجيج المركبة تارة أخرى . ولقد كنت أدعو ربى وأتوسل إليه وأجدد النذر القديم وهو أن أحتمل فى سرور

خيانة زوجي كزوجة خاضعة تحرس في أمانة منزل الخائن .

وفي النهاية عاد الـكونت بصحبة الطبيب فأخذ يفحص الطفل وكنا في هذه اللحظة : أناورا.ول ننتظر حكمه مرتعدين كطفلين يسيران في الظلام ، وكان كل منا يعتمد على ذراع الآخر رهبة وخوراً . ومضت على هذا خمس دقائق كاملة قبل أن يفوه الطبيب بكلمة ، وأخيراً قال :

— أنا أظن أنه ليس في الأمر خطر ، أظن ولست متأكداً ، لأن المرض لم يتحدد بعد .

— فقلت في تمتمة مضطربة :

— ولـكن على كل حال هل هو الجدري .

— لا ، يقيناً إن هذا ليس هو الجدري .

كان الطبيب يقول هذه الـكلمة ببساطة وهو لا يدري أنه قد ردَّ بها إليَّ التنفس والحياة . وعلى أثر ذلك سقطت بين ذراعي راءول فاقدة القوى وإن كنت قد أحسست أن ثقة خفية بزوال الخطر قد احتلت نفسي دفعة واحدة وشعرت بالرضى والسعادة ، فطفرت من عيني دموع غزيرة لا أدري أهي دموع رد الفعل أم دموع السرور ، ثم انتابتني على أثر ذلك أزمة عصبية لم أفق منها إلا حين لاح نور الصباح . وحينئذ وجدت راءول جالساً عند وسادتي فلم أشأ أن أضيع الوقت في سؤاله عن سبب جلوسه بجانبي ، وإنما هتفت به قائلة : ورينيه كيف هو ؟ .

— إنه الآن أحسن حالا ، وإن مرضه لخفيف وبسيط ، وإن الحبوب الآن بادية على وجهه بهيئة تجعله دميما في هذه اللحظة فقط ، ولـكن الخطر قد زال ، والحاضنة والخادمة — ساهرتان عليه . وأنت كيف صحتك ؟

— أنا صحتي جيدة جداً .

وإذ ذاك أردت أن أنهض فخانتني قوتي وسقطت على الوسادة فقال راءول وهو يقبض على يدي .

— مسكينة يا صديقتي .

وبعد ذلك ساد بيننا صمت كنت أثناءه أقول في نفسي : من حيث أن راءول هنا فهو إما أن يكون قد عاد من شارع فيزيليه وإما أنه لم يذهب ثم سألته قائلة :

— في أية ساعة عدت يا راءول ؟

— إني عدت مع الطبيب ، وإني بجانبك منذ أن نمت إلى الآن .

قال هذا وقرب وجهه من وجهي فتمتمت قائلة :

— ثم ماذا إذاً ؟

وإذ ذاك فهم كل شيء ، فأجابني بصوت خافت : إذاً ... أنا أحبك وحدك وينبغي أن تصفحي عني ، وهذا هو كل شيء .

وعلى أثر ذلك تبادلنا قبلة لم نذق مثلها منذ عهد خطبتنا !

مضت على هذا الموقف ثلاثة أسابيع جعلت صحة الطفل إبانها تتحسن باطراد حتى استطعنا أن نسافر به إلى « تالوار » . وهانحن أولاء بمنزلنا سعداء شأننا في صيف كل عام . ولقد أطلعني راءول على برقية وردت إليه من هذه المرأة في صباح تلك الليلة المزعجة ، وقد جاء فيها ما يلي : « لقد انتظرت أمس ساعتين كاملتين في هاتيك الغرفة الذميمة ، وإنني لا أحب الأشخاص السيئي التربية فعم مساء يا سيدي » .

ويبدو أن هذا الـ « عم مساء » كان معناه الوداع الأخير . أما الآنسة جيفيرني فهي ستتزوج .

إن الطفل قد برىء تماما ، وإنه لجميل كما كان ولم يبق في وجهه أي أثر للحبوب ، وإن الدكتور روبان قد قال لي : إنه سيكون شابا فاتنا له من أسيرات حبه مثل ما لأبيه .

فأجبته قائلة :

— مثل أبيه ! إني أسأل الله أن تـكون أسيراته في الغرام أقل عددا من أسيرات أبيه .

محمد عطوب

إدارة البلديات العامة — تنظيم

يطرح مجلس الجيزة البلدي في المناقصة العامة توريد ٢٥٠ أردباً من الشعير معدل ٢٣٫٥ قيراطا و ٨٠ حملا من التبن الأبيض وقد تحدد ظهر يوم ١٠ / ٦ / ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان المجلس . ٥٣٣٥

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر - الاسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول يونية سنة ١٩٤٦ ولحين صدور اعلان آخر سيسير « قطار فاخر » سريع (درجة أولى وبولمان) بين القاهرة والاسكندرية ويقف بمحطتى طنطا وسيدى جابر كالمبين بعد :

١ — يغادر قطار ٩٩٣ القاهرة فى الساعة ٨ ٣٠ ويصل إلى الاسكندرية فى الساعة ١١ ٣٠

٢ — يغادر قطار ٩٩٢ الاسكندرية فى الساعة ٨ ٠٠ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ١١ ٠٠

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات	٩٩٣	المحطات	٩٩٢
مصر ... ... قيام	٨ ٣٠	الاسكندرية ... ... قيام	٨ ٠٠
طنطا ... ... وصول / قيام	٩ ٤١ / ٩ ٤٤	سيدى جابر ... ... »	٨ ١٠
سيدى جابر ... ... »	١١ ٢٢	طنطا ... ... وصول / قيام	٩ ٤٦ / ٩ ٤٩
الاسكندرية ... ... وصول	١١ ٣٠	مصر ... ... وصول	١١ ٠٠

(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)